

ولا وجهاً ولا إقامة ولا حنافة ولا قيمومة، متورطين في مسبِّع الجهالات، ولذلك لا ينجون في الحياة مهما شرّقوا أو غربوا، حيث غربت عقولهم وحجبت فطرهم.

هذا إجمال عن مغزى الآية ومن ثم التفصيل، ولنبدء برأس الزاوية في مسبِّع العرفات: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ وهي كلها رؤوس الكمالات الإنسانية وجماع فضائلها وفواضلها:

الفطرة هي حالة خاصة من الفطر، وهو الشق ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْئُوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٣) ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرِّيْناً يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ (١) والفطور هو الفروج والشقوق والفتوق والخروق، انفصالات متهافنة متفاوتة في خلق الرحمن تحيلها آية الفطور، والفطر بين شق صالح فوصله صالح، وبين شق صالح عن فصل طالح، وخلق الرحمن كله شق صالح كـ ﴿فَالْقُلُوبُ أَلْحَىٰ وَالنَّوْمُ﴾ (٢) وقد فلق حب الإنسان ونواه فطراً صالحاً بفطرة هي الدين الحنيف القيم.

ثم ذلك الشق في الفطر له ميّز الابتداء (٣) دون مجرد الخلق الأعم من مبتدئ مبتدع، ففيه - إذاً - أوليتان اثنتان بدءاً وبدعاً، خلاف سائر الخلق بعد الأولية وغير المبدعة إذ تخلق على مثال ما خلق مثله أول مرة، ولمحة صارحة صارخة لهذه المييزة في الفطر: ﴿فَسَيَقُولُونَ مِنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (٤) حيث الفطر المقابل للإعادة يناسبه البداية، وليست الإعادة فطراً كما ﴿وَمَا لِي لَأَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٥) حيث الرجوع

(١) سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(٣) لسان العرب عن ابن الأثير الفطر الابتداء والاختراع والفطرة منه الحالة.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥١.

(٥) سورة يس، الآية: ٢٢.

العود يقابل الفطر فهو البدء ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، ثم الفطرة هي هيئة وحالة خاصة من ذلك الفطر خصت في آيتها بالناس كما اختصت بالله: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

إذا فلفطرة في خلق الناس الأولية المتينة المكيئة، المبدئة المبدعة المزيجة بأصل ذاته، المدغمة في إنياته لمكان ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ دون «فطرها على الناس» أو «فطر معها الناس» أماذا من تعابير تجعلها فرعاً على ذوات الناس، أم موازية في فطر الناس، وإنما ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ مما يبرهن انها رأس الزاوية من كون الناس وكيانهم، القاعدة الأصيلة من الإنسان أياً كان بقلبه وقالبه.

فكما أن للإنسان كياناً حيوانياً أصيلاً تتبناه أجزائه وأعضائه، وهي النطفة التي خلق منها، كذلك - وبأحرى - له كيان إنساني أصيل تتبناه روحه وعقله و صدره وقلبه ولبه وفؤاده، ألا وهي ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

وهذان البعدان هما جوهر إنسانية الإنسان كمزيج من حيوان وإنسان، والبعد الأصيل بينهما هو بعد الفطرة، ومن ثم بعد النطفة، وقد تعنيها آية الذر في «ذريتهم»: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾<sup>(٢)</sup> فذريتهم هي فطرتهم تعبيران عن حقيقة واحدة كما في روايات متظافرة<sup>(٣)</sup> وتلمح لذلك كصراحة آية الذرية، وقد نأتي على بحثها كما يناسب بحثنا حول آية الفطرة.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٢، ١٧٣.

(٣) نور الثقلين ٤: ١٨٤ ح ٥٣ عن أصول الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن =

وانها ذرية الأرواح، أعمق أعماقها وهي الفطر، فكما للأجسام ذريات هي النطف التي خلقت منها، كذلك للأرواح ذريات هي الفطر التي فطر الناس عليها، ومن الفارق بين الذريتين أن ذرية الفطرة لا تتبدل وذرية النطف تتبدل، وقد فطر الله الأجسام على ذريات النطف، وفطر الأرواح على ذريات الفطر، والذريتان هما أصل الإنسان في بعدية، وسائر أجزاءه الروحية والبدنية فروع، مهما تأصلت في فترة التكليف.

وميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بإجابته: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ هو ميثاق تكويني على فطرة الله التي فطر الناس عليها حيث «فطرهم على التوحيد عند الميثاق»<sup>(١)</sup>، وهو رؤيته تعالى بالقلب<sup>(٢)</sup>.

= قول الله ﷻ: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد بإسناده المتصل عن زارة قال قلت لأبي جعفر عليه السلام أصلحك الله قول الله ﷻ في كتابه: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؟ قال: فطرهم على التوحيد عند الميثاق وعلى معرفة أنه ربهم قلت: وخاطبوه؟ قال: فطأ رأسه ثم قال: لولا ذلك لم يعلموا من ربهم ولا من رازقهم.

أقول: لولا ذلك يعني فطرهم على التوحيد، فليس مقابلة ومسائلة فإنها لا تضمن المعرفة، وإنما تبني الذات على المعرفة هو الذي يضمن المعرفة.

(٢) المصدر ٩٧ في كتاب التوحيد بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له اخبرني عن الله ﷻ هل يراه المؤمن يوم القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة فقلت متى؟ قال: حين قال لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم سكت ساعة ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة أأست تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير فقلت له جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال: لا فانك إذا حدثت به فأنكر منكراً جاهلاً بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون.

أقول: وليست الرؤية المعرفية القلبية بصرف المسائلة.

وفيه ج ٣٦٢ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ قالوا بألسنتهم؟ قال: نعم وقالوا بقلوبهم فقلت وأي شيء كانوا يومئذ؟ قال: صنع منهم ما اكتفى به.

فطرة الإنسان باقية ما دامت له باقية مهما فقد جسمه وعقله، فإنها لزام الروح الإنساني حيث ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ولولاها لم يكن ناس، فهي تلازم حياته الإنسانية تعيشها وتعيشها كإنسان، ولذلك تجب إقامة الوجه لها بكل وجوهه، فإنها أصل الدين الحنيف القيم وجذره ﴿لَا بُدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والدين الحنيف القيم الذي لا تبدل له ولا تبديل هو كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» كما وآية الفطرة وآيات إقامة الوجه للدين الحنيف القيم، فيها كلا السلب والإيجاب التوحيدي، فهنا ﴿حَنِيفًا...﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هما سلب: لا إله - و﴿مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ هما الإيجاب: إلا الله.

أجل - إن ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ هي «دين الله»<sup>(١)</sup> الحنيف القيم الذي لا بديل عنه ولا تبدل له، وهي المعرفة<sup>(٢)</sup> وهي التوحيد<sup>(٣)</sup> وهي الإسلام<sup>(٤)</sup> وهي الولاية<sup>(٥)</sup> وهي كلها واحدة:

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

- (١) الدر المنثور ٥ : ١٥٥ - أخرج عن جماعة قال رسول الله ﷺ فطرة الله التي فطر الناس عليها قال: دين الله.
- (٢) نور الثقلين ٤ : ١٨٤ - القمي بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ : حنفاء لله غير مشركين به قال: الحنيفة من الفطرة التي فطر الله عليها لا تبديل لخلق الله - قال: فطرهم على المعرفة به..
- (٣) المصدر ١٨٣ - أصول الكافي بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في آية الفطرة قال: فطرهم على التوحيد ورواه مثله عنه هشام بن سالم وعبد الله بن سنان والعلاء بن فضيل، وفيه عن زرارة عنه عليه السلام مثله بإضافة «جميعاً».
- (٤) المصدر بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام عن الآية ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد قال: الست بربكم وفيه المؤمن والكافر.
- (٥) المصدر - أصول الكافي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: هي الولاية.

ف «دين الله» هو معرفة الله، وهي ولاية الله، وهي الإسلام لله، وهي توحيد الله، فلا تعني خماسية العبارة إلا أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> ثم المعاد والرسالة ومن ثم ولاية الأئمة<sup>(٢)</sup> و«إلى هاهنا التوحيد»<sup>(٣)</sup> كلها تحور على محور ولاية التوحيد ومعرفة الله، منه تصدر وإليه تعود، فنكران سائر الأصول ليس إلا حصيلة نقصان أصلها الأصيل: معرفة الله بتوحيده بولاية الله في الإسلام له، وجماعها «دين الله» كما تدل عليه فطرت الله، كأصيل، والعقل كوسيط، والشرعة تفصيل.

(١) المصدر الكافي عن القمي حدثنا الحسين بن علي بن زكريا قال حدثنا الهيثم بن عبد الله الرماني قال حدثنا علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن جده عن أبيه محمد بن علي عليه السلام في الآية قال: هو لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ولي الله إلى هاهنا التوحيد ورواه مثله في بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية فقال: «على التوحيد ومحمد رسول الله عليه السلام وعلي أمير المؤمنين عليه السلام وفي التوحيد رواه مثله عن عبد الرحمن مولى أبي جعفر عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) المصدر.

(٣) الدر المنثور عن جماعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء قالوا يا رسول الله ﷺ أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال ﷺ: ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء. في تفسير الطبري بإسناده عن الأوسد بن سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله ﷺ فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال: ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله ﷺ أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: أن خياركم أبناء المشركين إلا أنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها» قال الحسن: لقد قال في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ولقد روى حديث الفطرة باختلاف يسير كما هنا في صيغها ووحدة في سوقها جماعة كما في المعجم المفهرس للحديث النبوي ج ٥: ١٨٠: «ما جاء في» كل مولود يولد، ولد على الفطرة، كل نسمة تولد على الفطرة في جنائز ٩٤ دسنة ١٤ - ت قدره، ط جنائز ٥٢، حم ٣، ٢٣٣، ٢٧٥، ٣٩٣، ٤١٠، ٤٨١، ٣، ٣٥٣.

ولقد أجملها الرسول ﷺ: في قوله «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . .» وهذه ثلوث الشرك بمختلف صورته، تجسيدا لله وتبنيًا منه تهويداً، وتثليثاً معهما تنصييراً، وتثنية له أنه والنار إلهان إثنان تمجيساً، فكافة الخرافات الشركية لاصقة لاحقة على أهلها، والأصل الثابت والدين الحنيف القيم لها هو التوحيد قضية ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

وقد تعني «الولاية» هنا ولاية التوحيد والعبودية وولاية التكوين والإعادة وولاية التشريع، فهي تجمع الأصول الثلاثة، ثم ولاية الأئمة كفرع من ولاية الشريعة الرسالية، و«إلى هاهنا التوحيد» كما مضت في رواية.

فآية الفطرة تأمرنا بمطالعة كتابها، ومن ثم الآيات التي تستجيش العقول أن تعقل، تأمرنا بمطالعة كتاب العقل، والوجه الروحي المأمور بإقامته للدين حنيفاً هو وجه الروح والعقل والصدر والقلب واللب والفؤاد، وعلى هامشها وجه الحس، وهذه السبع تقام للدين حنيفاً ابتداء بكتاب الفطرة وإنهاء إلى كتاب الشريعة، والعقل هو الوسيط في هذه الرحلة، مهما كان وجهاً من الوجوه السبعة.

نحن نجد أصول المعارف الإلهية في كتاب الفطرة، كما ونجد كل صغيرة وكبيرة من عقائد وأقوال وأعمال خيرة وشريرة، مرتسمة في كتاب الذات ظاهرة وباطنة حين الحساب ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٤) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴿٤﴾ (١) وبين الكتابين كتاب الشريعة الإلهية ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَسَرَّ مِنْهُ . . .﴾ (٢) ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

للفطرة أحكام ثابتة لا مرد لها كما هي نفسها: ﴿لَا بُدَّيْلَ لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ إذا فهي أمتن قاعدة وأحسنها لتبني الكمالات الإنسانية، وعلى السالك إلى الله أن يعتبرها أولى المنازل في سيره وأولاها.

ولكي تكون هذه السفارة ناجحة، عليه أن يتزود براحلتها «الفطرة» وزادها الستة الأخرى من عرفات آية الفطرة، وقد عرفنا الفطرة بعض المعرفة وإليكم الستة الأخرى:

١ - معرفة النفس، ٢ - وحبها، ٣ - وإقامتها، وهي المطوية في ﴿فَأَقْرَهُ﴾، ٤ - ثم ﴿وَجْهَكَ﴾، ٥ - ﴿لِلدِّينِ﴾، ٦ - ﴿حَنِيفًا﴾ هي الأخرى من ألفاظها الأخرى.

معرفة النفس كما هي حسب الطاقة البشرية هي أولى الخطوات في هذه الرحلة وعلى حد قول الرسول ﷺ «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

فلتعرف أولاً من أنت، هل أنت - فقط - هذا البعد الحيواني، وكما أكثر الناس يظنون، ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> أولئك الذين يستعمرون كافة طاقاتهم المادية والمعنوية للشهوات والحيوانات، إذ ضلوا عن أنفسهم فظلوا عاكفين على حيواناتهم ف ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ...﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(٣)</sup> وذلك رأس كل خطيئة.

أم أنت الروح الإنساني كما هو مكتوب في كتاب الفطرة، فما الإنسان إلا عقلاً فاهماً، وما قيمته إلا قدر عقله، فلتكرس كافة طاقاتك مادية ومعنوية في ترقية روحك.

ولما وجدت نفسك من أنت، تحب نفسك كما أنت، وذلك الوجدان

(١) سورة الروم، الآية: ٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

والحب يدفعانك إلى محبوب مطلق وموجود مطلق، هو المنطلق لكل محب وموجود، وهو الله تعالى شأنه .

فمعرفة النفس بالحيوانية فحبها بها هي الكفر بالله وبغضه، ولكن معرفتها بالروحانية وحبها بها هي معرفة الله وحبه .

فمن وجد نفسه كواقع الحق فقد وجد ربه، ومن ضل عن نفسه فقد ضل عن ربه، وكلما ازداد الإنسان معرفة صالحة بنفسه ازداد معرفة بربه، فحين يعرف نفسه أنه لا شيء في ذاته، يعرف الله وإنه مصدر كل شيء، فقر مطلق يتعلق بغنى مطلقة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١) - ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢) .

ثم الوجه من كل شيء ما يواجهه به شيئاً أو يواجهه إليه، فتختلف وجوهه حسب اختلاف كيان المواجه والمواجه إليه .

فإذا كان المواجه إليه من عالم المادة فوجه الإنسان الموجه إليه هو بعده المادي، سواء الوجه المعروف منه كعضو بين الأعضاء ك ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (٣) .

أم ظاهر المقادير من بدنه كما يتجه إلى القبلة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٤) ، أم البدن كله حيث يواجهه حريقاً شاملاً يحرقه ظاهراً وباطناً، فكما وجه النار هنا هو كلها كذلك وجه الإنسان المحترق بالنار هو كله، ووجه الأرض ككل هو ظاهر الكرة الأرضية، وهو بوجه أخص الأفق الذي أنت فيه حيث تواجهها بعين مجردة أو مسلحة .

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥ .

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٠ .

(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٣ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٤ .



وقد يعني وجه الشيء أوله لأنه في أول المواجهة، كوجه لنار: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ﴾ (١).

وإذا كان الموجه إليه أمراً معنوياً كعلم أو عقيدة أو شرعة ودين فالوجه إليه هو المعنوي من المواجه، وأحرى مصداق له هو الله ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (٢) والعبد كله، بظاهره وباطنه وجه لله حيث يواجهه بعلمه وقدرته، ووجه إلى الله، حيث يتجه إليه بكله، بجسمه وروحه وعقله وصدرة وقلبه ولبه وفؤاده.

إذاً فللوجه وجوه حسب مختلف الوجوه، فالوجه المقام ﴿لِلَّذِينَ حَنِيفًا﴾ هو الإنسان بباعديه، بظاهر الحواس الخمس، وباطن المدركات الست روحاً ككل، وعقلاً ثم صدرًا ثم قلباً ثم لباً ثم فؤاداً، فإنها المراتب المتدرجة المتفاضلة لإدراكات الروح ومعتقداته واتجاهاته.

وهنا الفؤاد أعماق الروح المتكامل حيث يتفأد بنور المعرفة واليقين كما للرسول الصادق الأمين: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) ﴿أَفْتَمَرْتُمُوهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (١٢) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (١٤) ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ (١٥) ﴿إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ (١٦) (٣).

هذه وجوه سبعة للإنسان يجب أن يقيمها ﴿لِلَّذِينَ حَنِيفًا﴾ ابتداء بـ ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

تجب إقامتها، دون توجيهها غير مقامه، حيث الروح الخامل، والعقل المتكاسل، والصدر الضيق الشاغل، والقلب المقلوب القاحل، واللّب أو الفؤاد غير المتكامل، لا توجه للدين إلا أن تبوء بخسار، وكما الحس وهو

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٣) سورة النجم، الآيات: ١١-١٦.

الخطوة الأولى والبلد الأول من هذه الرحلة في بلاد العرفات، لا يأتي بغير قيامه إلا بالبوار.

إلى هنا، وقد عرفت نفسك وأحبته مشياً على صراط مستقيم دون إكباب على وجهك، ثم عرفت وجهك بوجوهه وإقامته فيها، يجب أن تعرف «الدين» المتوجه إليه كخامسة الخطوات فما هو الدين؟

الدين في أصله هو الطاعة، وهو هنا طاعة الله لأعلى مراتب التسليم، فهو الإسلام، ولا إسلام إلا بالتوحيد فهو التوحيد، ولا توحيد إلا بولاية الله تكويناً وتشريعاً، بدء وعوداً، وولايته عبودية و«إلى هاهنا التوحيد» حيث يشمل دين التوحيد والتوحيد الدين: اصول الدين بفروعه.

وإلى سادسة هي عشيرة العشرة ﴿حَنِيفًا﴾ فلتكن حنيفاً مائلاً عن الضلالة إلى الاستقامة في معرفة نفسك وحبها ووجهها وإقامتها والدين المتجه إليه، حيث الجنف في أي من هذه يخسرك في رحلتك، والحنف يربحك فيها، ومهما كان الإنسان حنيفاً بذاته فقد يقصر أو يقصر فيبدل حنفه إلى جنف:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(١)</sup> ثم وبصيغة سائغة واجب الحنافة أن تكون في هذه الرحلة عشيرة لعشرة كاملة بين العرفات السبع والوجوه السبعة، باستثناء الحنافة نفسها لأن حنافتها تحصيل للحاصل اللهم إلا كشفاً عن غطاءها حيث تحسب الجنف حنفاً إذ يحسب ضلاله هدى! وباستثناء الفطرة لأنها حنيفة في ذاتها، والوجه فإنه منقسم إلى سبعة محسوبة في العشرة، ووجه الروح فإنه وجهان من الوجوه السبعة، فهذه العشرة العشرة مع الحنافة هي الروح: ١ - بمعرفته، ٢ - ووجهه وهما وجه الروح، ٣ - وإقامته، ٤ - ومعرفة الدين، ٥ - ووجهه الحسن، ٦ - والعقل، ٧ - والصدر، ٨ - والقلب، ٩ - واللب، ١٠ - والفؤاد.

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.